



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

**Dr. Abbas Abdel Halim
Abbas**
- Arab Open
University /Jordan

Dr. Hussein Lafta Hafez
- Kufa Studies Center /
University of Kufa

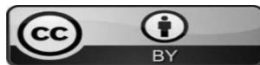
**Assis .Lect. Nyan
Hussein Abdullah**
College of Dentistry /
University of Kufa

Email:

a_abbas@aou.edu.jo
hussen.haafed@uokufa.edu.iq
Nivanh.alshimary@uokufa.edu.iq

Keywords:

**literary study,
comparative literature,
Izz al-Din al-Manasra**



Article info

Article history:

Accepted 24.Apr.2024

Published 28.May.2024



Spaces of comparative literary study When Izz al-Din al-Manasra

A B S T R A C T

The research deals with Ezz El-Din Al-Manassara's efforts in theoretical criticism to define concepts in the field of cultural criticism, starting with the historical definition of the emergence of this criticism in the Arabic language, then its appearance in the West, of course through the constellation of critics published in Europe, and by defining the nature of the concept of this criticism and the magazine, The scope of adapting this concept to the Arab literary efforts that have emerged since the beginning of the twentieth century is represented by the Jordanian and Palestinian critic and academic of Izz al-Din al-Manasra, who is unique in comparative literary studies, as he is a critic specialized in this type of research. At the level of theory and practice, he published a group of important works in this direction, which we will detail later. Al-Manasrah also insists on using the term (comparative criticism) and not (comparative literature), so we must look at his achievement with some difference from the achievement of his predecessors and those of him who are Jordanian comparativists. , who dealt with comparative study as (literary history) or only (a literary phenomenon).

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol55.Iss2.3878>

فضاءات الدراسة الأدبية المقارنة
عند عز الدين المناصرة

د. عباس عبد الحلیم عباس أ. د. حسین لفته حافظ م.م. نیان حسین عبد الله
أستاذ مشارك مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة كلية طب الاسنان / جامعة الكوفة
الجامعة العربية المفتوحة/الأردن

الملخص :

يتناول البحث جهود عز الدين المناصرة في نشاطه النقدي النظري لتحديد المفاهيم على مساحة النقد الثقافي انطلاقاً من تحديد تاريخي لظهور هذا النقد عربياً، بعد ظهوره غربياً بطبيعة الحال على يد كوكبة من النقاد المنتشرين على مساحة أوروبا، ومن خلال تحديد طبيعة مفهوم هذا النقد ومجاله، ومدى انطباق هذا المفهوم على جهود نقدية عربية برزت منذ مطلع القرن العشرين، يمثل الناقد والأكاديمي الأردني والفلسطيني الأصل عز الدين المناصرة اتجاهاً متفرداً في الدراسات الأدبية المقارنة، فهو ناقد مختص بهذا النوع من البحوث على مستوى النظرية والتطبيق ، أصدر مجموعة من الأعمال المهمة في هذا الاتجاه، وكان لإسهاماته في مجال الأدب المقارن اثر مهم يحتاج الى دراسة وتحليل خاصة اذا عرفنا إن إطلاق مصطلح الأدب المقارن، يعني تلقائياً مقارنة أكثر من أدب واحد على الأقل، حيث يمكن مقارنة آداب، إذا كان التأثير يتلاقى في آداب عدة ، كما أنّ المناصرة يُصر على استعمال مصطلح (النقد المقارن) وليس (الأدب المقارن) لذا يتوجب علينا النظر إلى منجزه بشيء من الاختلاف عن منجز سابقه ومجايله من المقارنين الأردنيين ، الذين تناولوا الدراسة المقارنة على أنها (تاريخ أدبي) أو (ظاهرة أدبية) فحسب وفق رؤية أكاديمية علمية تتبنى المنهج التحليلي طريقة في معالجة الموضوع .

الكلمات الدلالية : الدراسة الأدبية ، الأدب المقارن ، عز الدين المناصرة

المقدمة:

يمثل الناقد والأكاديمي الأردني والفلسطيني الأصل عز الدين المناصرة اتجاهاً متفرداً في الدراسات الأدبية المقارنة ، فهو ناقد مختص بهذا النوع من البحوث على مستوى النظرية والتطبيق ، أصدر مجموعة من الأعمال المهمة في هذا الاتجاه ، سنفصلها فيما بعد ، كما أنّ المناصرة يصر على استخدام مصطلح (النقد المقارن) وليس (الأدب المقارن) لذا يتوجب علينا النظر إلى منجزه بشيء من الاختلاف عن منجز سابقه ومجايله من المقارنين الأردنيين ، الذين تناولوا الدراسة المقارنة على أنها (تاريخ أدبي) أو (ظاهرة أدبية) فحسب .

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح (النقد المقارن) ظهر في أمريكا في نهاية الستينات كما يرى الدكتور حسام الخطيب ، مضيفاً أنّ هذا المصطلح " ولد غامضاً مفتقراً إلى التحديد ، وفي السبعينات أخذ جون فلتشر John Fletcher ينادي بالمصطلح من خلال بزمه بالشكلية الدوغمائية وإنكاره للتاريخانية التي تسير معصوبة العينين، وبالتالي محاولته إمساك العصا من الوسط . وهكذا رفض بوضوح كلا من التاريخ الأدبي والنظرية الأدبية ، واختارت مجلته التي تنطق باسم (رابطة الأدب المقارن) في بريطانيا تسمية أخرى هي : A year book 1979 Comparative Criticism " (الخطيب ، ١٩٩٨م : ٣١ - ٣٢).

فهل سار المناصرة بهذا الاتجاه الذي أرساه فلتشر ؟ أم هناك فهم آخر لهذا المصطلح كل هذه الأسئلة يحاول البحث الاجابة عنها وفق مباحث تتحدث عن المنجز الثقافي الذي انتجه المناصرة في كتاباته من هنا يتناول التمهيد شيء من حياة المناصرة ومنجزه الابداعي اما المبحث الاول فيدرس منهجية المقارنة .. وحصن المفاهيم ويتناول المبحث الثاني التحولات منهجية من الجمالي إلى الثقافي وبعد ذلك تأتي خاتمة البحث لتلخص اهم النتائج التي توصل اليها البحث ومن الجدير بالذكر ان البحث استفاد من الدراسات النقدية والثقافية التي اهتمت بالنقد المقارن واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

التمهيد :

نبذة تعريفية عن حياة المناصرة ومنجزه الابداعي

هو محمد عز الدين المناصرة وُلد في قرية بني نعيم . قضاء الخليل بفلسطين في (١١/٤/١٩٤٦)، وفيها ترعرع وتعلم وعمل راعياً وجمالاً وبائعاً متجولاً. تعلم في (مدرسة الحسين بن علي الثانوية) بمدينة (الخليل) بفلسطين وحصل على شهادة التوجيهي (الثانوية العامة) في صيف ١٩٦٤. وحصل على شهادة (الليسانس) في (اللغة العربية، والعلوم الإسلامية) في عام ١٩٦٨، و(دبلوم الدراسات العليا) في النقد الأدبي والبلاغة والأدب المقارن عام ١٩٦٩ في (كلية دار العلوم - جامعة القاهرة)... ثم أكمل دراساته العليا لاحقاً، وحصل على (شهادة التخصص) في الأدب البلغاري الحديث، وحصل على (درجة الدكتوراه) في النقد الحديث والأدب المقارن في جامعة صوفيا عام ١٩٨١،... كما حصل على رتبة الأستاذية (بروفيسور) في جامعة فيلادلفيا، عمّان عام (٢٠٠٥م) .

عمل مديعاً ومنتجاً ومديراً للبرامج الثقافية في المملكة الأردنية بين ١٩٧٠م الى ١٩٧٣م وأسس عام ١٩٧٣ رابطة الكتاب ثم غادر الى بيروت ليعمل في اطار منظمة التحرير الفلسطينية محرراً ثقافياً في مجلة فلسطين الثورة (خليل احمد ،٢٠٠١م:٣/١٨١٥) ومن ثم صار المناصرة ينتقل بين الدول العربية حتى استقر في الجزائر ليعمل في جامعة قسنطينة ما بين عام ١٩٨٣ الى عام ١٩٨٧م لينتخب أميناً عاماً للرابطة العربية في الجزائر ومن ثم انتقل للعمل في جامعة تلمسان ما بين عام ١٩٨٧م الى عام ١٩٩١م (المناصرة ، ٢٠٠٩م:٣)

أصدر المناصرة (أحد عشر ديواناً شعرياً) و(خمسة وعشرين كتاباً) في النقد الأدبي والتاريخ والفكر، وصدر عن تجربته الشعرية والنقدية منذ ١٩٩٨ ما يقرب من (٢٩ كتاباً نقدياً) أغلبها رسائل ماجستير ودكتوراه في الجامعات العربية... وترجمت أشعاره إلى ما يقرب من ثلاثين لغة أجنبية لمناصرة هو أحد رواد الجيل الثاني من الشعراء الفلسطينيين المعاصرين، انطلق مع زملائه الآخرين (محمود درويش، سميح القاسم...) في ظل المقاومة الفلسطينية في الستينات والسبعينات (خليل احمد، ٢٠٠١م:٣/١٨١٥).

نتاجه المعرفي :

أما عن أهم نتاجه المعرفي، انه أنتج الكثير من الأعمال الأدبية والنقدية التي استفاد منها الدارسون ومنها في النقد المقارن والنقد الثقافي ، وهذه المنجزات التي يمكن ترتيبها على النحو الآتي :

- السينما الإسرائيلية في القرن العشرين، بيروت، ١٩٧٥.
- النقد الثقافي المقارن، عمان، ١٩٨٨ (وصدرت طبعة ثانية عام ١٩٩٦ والأخيرة عن دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٥) .
- الشعرية ، ١٩٩٢ .
- إشكالات قصيدة النثر، بيروت - عمان، ٢٠٠٢.

- إشكالات قصيدة النثر ، المؤسسة العربية ، عمان ، وبيروت ، ٢٠٠٢ .
- لغات الفنون التشكيلية، عمان، ٢٠٠٣.
- الهويات والتعددية اللغوية (في ضوء النقد المقارن) دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠٠٤ .
- علم التناسل المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠٠٦ .
- علم التناسل والتلاص، عمان، ٢٠٠٦.
- السماء تغني: (قراءة في تاريخ الموسيقى العربية)، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٨.
- فلسطين الكنعانية: (قراءة جديدة في تاريخ فلسطين القديم)، منشورات جامعة فيلادلفيا، ٢٠٠٩.
- الثورة الفلسطينية في لبنان (١٩٧٢-١٩٨٢)، الدار الأهلية، عمان، ٢٠١٠.
- الأجناس الأدبية (في ضوء الشعرية المقارنة)، دار الراية، عمان، ٢٠١٠.
- اهم المحاضرات :
- (صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني المعاصر)، في (المؤتمر الدولي الأول للأدب المقارن)، جامعة عنابة، الجزائر، أيار (مايو)، ١٩٨٣.
- (بيان الأدب المقارن : إشكالات الحدود)، محاضرة أقيمت في (المؤتمر الدولي الثاني للأدب المقارن)، جامعة عنابة، الجزائر، جويلية، ١٩٨٤.
- محاضرة بعنوان : (التفاعل مع آداب العالم)، في مؤتمر التفاعل الثقافي، جامعة فيلادلفيا، ٢٠/٥/١٩٩٦.
- محاضرة بعنوان: (عسّان كنفاني: الهوية، والعالمية)، بدعوة من حزب الوحدة الشعبية الأردني، عمان، ١٠/٧/٢٠٠٢.

وفاته :

توفي المناصرة في العاصمة الأردنية عمان ، يوم ٥ ابريل من عام ٢٠٢١م، عن عمر يناهز الـ ٧٥ عاماً، متأثراً بإصابته بفيروس كورونا.

المبحث الاول :

منهجية المقارنة وحصن المفاهيم

ولعل عناوين هذه الأعمال تقود إلى طبيعة التكوين المفاهيمي الجديد للدرس المقارن والدرس الثقافي عند المناصرة ، فإذا كانت أبحاث الأدب المقارن . العربية الخاصة . منذ محمد غنيمي هلال (ت ١٩٦٨ م) وكتابه الرائد في هذا المجال (الأدب المقارن عام ١٩٥٣) البداية الحقيقية للأدب المقارن في عالمنا العربي ، فإنّ المفهوم الذي قدّمه هلال لمصطلح الأدب المقارن بطابعه الفرنسي ظلّ يتردد في أنحاء العالم العربي إلى حين رأى أنّ هذه المفهوم راوح عند (دراسة الصلات التاريخية بين الآداب ، استناداً إلى مبدأي التأثير والتأثير، بمظاهرها المختلفة ، كالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية ، أو ما اتصل بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب ، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية ، أو الأفكار الجزئية في العمل الأدبي) (هلال، ١٩٨١، ١١)

وقدّر لهذا المفهوم المستمد من (المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن) أن يُتداول في العالم العربي لدى المقارنين اللاحقين، وقد " ظلّت المؤلفات العربية في هذا الحقل ، وطوال العقدين أو الثلاثة الماضية ، واقفة في مجملها تحت التأثير الغربي ، سواء من الناحية المنهجية أو التطبيقية ، بيد أنّ نوعاً من الاستقلال بدأ يظهر في السنوات الأخيرة في مؤلفات عدد من المقارنين العرب ، منهم : سعيد علوش وحسام الخطيب وعز الدين المناصرة ، خاصة بعد أن شعر الباحثون

العرب بتشكّل تجربة عربية متنامية في المقارنة ، وضعت الأسس وسمحت بالتوسع والانفتاح على مصادر منهجية وتطبيقية خارج أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية " (الرويلي وآخرون ، ٢٠٠٠م: ٢٦) .

وهنا أشير إلى استفادة الناقد عز الدين المناصرة من وجوده في أحد البلدان السلافية وإطلاعها مباشرة على المستجدات الأدبية هناك ، فقد حصل عز الدين المناصرة على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن من إحدى الجامعات البلغارية ، وهو بعنوان (المؤثر المشترك وأثر لغة الشعر العالمي في الشعر البلغاري . نيكولا فابستاروف . والشعر الفلسطيني ، ١٩٨١) ، وقد أعدها باللغة البلغارية ، ولا تزال مخطوطة . ولا شك أنّ الاطلاع على تجربة المدرسة السلافية في منهجية المقارنة أفادت المناصرة كثيراً في تطوير أدواته وموضوعاته ، ولا سيما أنّ هذه المدرسة " عنيت بأداب الضواحي من جهة ، والأداب الشفوية من جهة أخرى ، والأداب المهمشة ، وأداب الأقليات من جهة ثالثة ، وأنها متحت من تجارب غنية في التفاعل بين الآداب البعيدة عن آداب العالم الغربي التي ألفها القارئ العربي وقتن بها ، ظنا منه أنها تمثل الذروة ، بل المثال والمآل " (اصطيف ، ٢٠٠٧م: ٨).

كما أن المناصرة الذي بدأ ينشر نتاجه المقارن مع نهايات القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين يؤسس لرؤية مفهومية خاصة في سياق تجديد المصطلح ودلالته ، إذ يرى المناصرة أنّ الآليات التي وظّفت في الدراسة الأدبية المقارنة هي آليات نقدية بالدرجة الأولى ، فإذا كانت " مصطلحات : التناص والتلاص ، والمقارنة ، والتوازي ، والتأثير ، والتأثر ، والتفاعل الثقافي ، وجماليات القراءة ، والنقد الثقافي ، والأدب المقارن وغيرها ، مجرد آليات لقراءة النص الأدبي والثقافي معاً ، فإن مصطلح الأدب المقارن ، لم يعد مناسباً إطلاقاً ، وقد نقول : يجب التمييز بين (النقد الأدبي المقارن) و (النقد الثقافي المقارن) و (النقد الثقافي) و (المثاقفة) و (النقد الأدبي) على النحو التالي :

- النقد الأدبي المقارن: يقرأ النصوص الأدبية في علاقتها مع النصوص الأدبية خارج نطاق الأدب القومي الواحد .
- النقد الثقافي: يقرأ الأنساق المكتوبة داخل الأدب القومي الواحد، ويقرأ النصوص الثقافية القومية، داخل الثقافة الواحدة.
- النقد الثقافي المقارن: يقرأ النصوص الثقافية القومية في علاقتها مع النصوص الثقافية في ثقافات العالم .
- المثاقفة : تقتصر على المعنى الأنثروبولوجي ، مع قراءة ما تلاها من تفاعل ثقافي طبيعي . لهذا ظلّت تحمل معنى التكيف اللاإرادي .
- النقد الأدبي: يقرأ النص الأدبي ، قراءة جمالية عامة ، أو يختار مناهج للتطبيق على نصوص متعددة ، ويتطرق بسرعة لمسألة التناص دون التعمق فيها ، انطلاقاً من التقاليد النقدية . " (المناصرة ، ٢٠٠٥م: ١٠-١١) .

وبهذا يضعنا المناصرة أمام محاولة تأصيلية في تحديد منظومة مفهومية خاصة بنظرية المقارنة ، وهو إجراء قلّ من سار به من المقارنين العرب ، حتى الأوائل منهم ، وعلى هذا الأساس يعد الدكتور عز الدين المناصرة هو أول منظر بين المقارنين في فلسطين والأردن ، والأقطار العربية الأخرى ينحو هذا النحو ، وإنّ ما قام به هاهنا ليؤكد لنا جانب الدقة العلمية في عمله المقارن ، لأن تحديد هويّة المصطلح تحديد لأطر المنهج وهويته ، وخلاف ذلك هو محض اجتهادات فردية تقوم على مجرد افتراضات قد لا تسندها أي منهجية بحثية ، أو نظرية علمية .

وبالعودة إلى تحديده السابق نستطيع الكشف عن الحلول الفكرية والمستندات الفلسفية التي أرساها عز الدين المناصرة لحل إشكالية المفاهيم في نظرية المقارنة، تلك التي عانت منها الدراسات الغربية ، وتلتها العربية أيضاً ، بشهادات كبار المقارنين في كلا الأدبين ، لهذا فان تيغم (Van Tieghem) يعبر عن إشكالية ذوبان الأدب المقارن ، الذي هو دراسة العلاقات الأدبية بالتاريخ الأدبي ، ويقول : " إنّ من الواجب أن نقدّم لجمهرة القراء لوحات تركيبية لعمر

أدبي أو فترة أدبية طويلة إلى حد ما ، تعطيهم فكرة صحيحة على قدر الإمكان عن علاقات الآداب بعضها ببعض ، وعن أمهات التأثيرات والتيارات العالمية ولا بد لأمثال هذه الكتب العامة أن تكون مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأبحاث التفصيلية " (تيعم ، ١٩٤٩م :٢٠٥) أي بالجوانب الشكلية والموضوعية التي تكشف مرجعيات النصوص في عمليات التأثر والتأثير ، وتداعيات ذلك كلّ ، سواء أكان ذلك داخل إطار التاريخ الأدبي أم خارجه وبطبيعة الحال، فإن حدوث مثل هذه الإشكالية وغيرها راجع في جزء كبير منه إلى التماهيات المفهومية ، والتداخلات الاصطلاحية التي تسبب مثل هذه الإرباكات المعرفية في كثير من الأحيان ، وأكثر من هذا أنها تسبب صراعات اجتماعية أيضاً(جوزيف ،٢٠٠٧م:٢٧) .

على كل حال لا أحد ينكر ما تعانیه أي منظومة مفهومية لأي حقل معرفي حال التأسيس ، بل في سيرورته واتجاهاته المستقبلية ، وإنّ جهد الدكتور المناصرة في هذا الجانب لم ينحصر بتتبع هذه المشكلات ، فهي مثارة ومبحوثة في أدبيات غربية وعربية كثيرة ، إنما يشار إلى أنّ الصياغة التحديتية للدراسة المقارنة عند عز الدين المناصرة تتمثل في جُماع منجزه في هذا الإطار ، فضلاً عن نظريته للمقارنة على أنها نتاج لسيرورة تاريخية ثقافية سياسية معاً ، لذا فقد كان تجنب الباحث المناصرة لدراسة أي ظاهرة ثقافية أو أدبية دراسة مقارنة بمعزل عن تأسيسات تاريخية عميقة لفهم جذور المقارنة ، بمثابة بيان جديد (لنظرية المقارنة) ، ففي حين " ولد الأدب المقارن أولاً من تطبيق أمبريقي للأدب والثقافة الأدبية " (كولن ،١٩٩٢م:١٨٥) .

يتصور المناصرة أنّ هذه الولادة لم تكن بمثل هذا اليسر وهذه السهولة ، وإنما ينبغي تتبع جذور أساسية لكشف هاجس (الإحساس بالعالم) كما أسماه المناصرة ، وقد بدأ هذا الإحساس " لدى الأمم القديمة من خلال الحروب والتجارة والهجرات والاحتكاك الثقافي بين الحضارات ، فقد كانت الأفكار تنتقل من مكان إلى آخر بالقبول أحياناً ، وبالقوة في أغلب الأحيان ، ويأتي انتقالها كتحصيل حاصل لاحتكاك يتم لسبب أو آخر . ولدينا عشرات الأمثلة على وجود فعلي لهذا الاحتكاك الذي خلق شعوراً واقعياً بوجود (آخر) و (آخرين) على هذا الكوكب ، وخلق إحساساً بضرورة التعرف إلى الآخر واكتشافه . مع اختلاف صياغة (فكرة الآخر) ونموها ، ومع اختلاف الأسباب التي تدعو إلى هذه المعرفة . ولكن كمية المعرفة القديمة للآخرين كانت ضئيلة ، وظل (الإحساس بالعالم) اضطرارياً وذهنياً " (المناصرة ،٢٠٠٥م:١٥) .

ولتأكيد نظريته هذه راح عز الدين المناصرة يتتبع المناخات المختلفة التي واكبت هذا الإحساس، من ظروف تاريخية ، وإنسانية، وعلمية ، فضلاً عن ملابسات النشاط الاستشراقي ، والهجمة الاستعمارية العنيفة على أرض المشرق ، وما تبعها من اختلاق اسرائيل ، كدولة عنصرية وسط العالم العربي هذا إلى جانب ما نجم عن (النهضة) وتأثيراتها الثقافية ، ومظاهر الاتصال بالغرب ، وظهور النفط وتحولاته الاجتماعية وغير ذلك . لذا يصر المناصرة على عدم براءة الفعالية المقارنة أو النشاط المقارن ، وهو يضع أمام المحلل تساؤلاً مهماً حول فنية الظاهرة المقارنة ، بمعنى هل المقارنة ظاهرة فنية فحسب؟! لعل الإجابة كامنة فيما ذهب إليه المناصرة من أن " الأدب المقارن نشأ بين آخرين :

- الأثر الإيديولوجي : عالمية القرن الثامن عشر التي تبلورت مع فكر فلسفة التنوير .
- الأثر العالمي : المناخ الذي ساد فرنسا في الربع الأول من القرن التاسع عشر ، حيث كانت مناهج العلوم هي النموذج بالنسبة للأدب .

ولهذا ظلّ الأدب المقارن ، يتأرجح بين محاولة تقليد دقة العلوم ، وبين الإيديولوجيا وتحولاتها المتنوعة والمتصارعة " (المناصرة ،٢٠٠٥م:٣٢) .

وعلى هذا الأساس يقرأ المناصرة كليّات الظاهرة الأدبية عبر محاولة لسبر بنية التفكير في المجتمع ، وفي هذا السياق يحدد ملمحاً مهماً للثقافة العربية ، ليكشف أنّ هذه الثقافة تحيا في نموذجين، وهو هنا يقدم تحليلاً فكرياً عميقاً لكل منهما ،

ومع أنه يلتقي مع تصنيف (أدونيس) لبنية الثقافة العربية المطروح في كتابه (الثابت والمتحول : بحث في الإبداع والإبداع عند العرب) إلا أن المناصرة يستخدم مصطلحي (التقني التحديثي / والسلفي) كما أن تحليله لآليات عمل كل منهما يتخذ مساراً موجهاً ، يقول المناصرة : " نحن في العالم العربي أمام نموذجين : الأول تقني ، والثاني سلفي . وفي النهاية يلتقي التحديثي مع السلفي في الوظيفة من حيث نفي الذات . فهما يختلفان في طرق وأساليب تأويل العالم فقط ، لكنهما يخدمان هدفاً واحداً ، وهو تكريس سلطة الدولة القطرية التابعة لمراكز القوى الرأسمالية العالمية .

أما السلفي ، فهو يرفض التعرّف إلى الآخر ، أو حتى الاعتراف بوجوده ، كواقع موضوعي ، ينبغي مواجهته أو محاورته . والسلفي يصرّ على تأطير الماضي كنموذج ثابت ، ويرفعه إلى مرتبة القداسة التي لا تُمس ، وهو أيضاً يرى في هذه الأصولية السلفية الماضوية ، نموذجاً يحتذى في كل زمان ومكان ، لمواجهة الأفكار الجديدة ... وهكذا فإن القراءة السلفية تنطلق من قراءة المستقبل بواسطة الماضي بعد إعلائه ... بل إن هذه القراءة السلفية تلتقي مع الإيمان الإمبريالي وبالتالي مع التبعية . وقد انعكس هذا الفهم على النص الأدبي والثقافي ... أما التيار التقني فهو يغتصب الحداثة وينسبها لنفسه ، لأنه يقدم مجرد ترجمة حرفية للنموذج الأورو . أمريكي ، مع إضفاء صفة الحداثة والجدّة عليه ، فالتيار التقني يرى أن المسألة هي مسألة شكل ، ولذا فهو يلجأ إلى التجريد هرباً من أمثلة الواقع ، ولكي لا يتناقض مع سلطة الدولة التابعة القطرية التي ينتمي لها ، يقيم صلة مع هذه السلطة لتبرير التبعية بوسائل جديدة جداً ، ولكنها وسائل تكريس التبعية ، لأن التيار التقني لا ينتجها ، بل هو أحد عبيدها " (المناصرة ، ٢٠٠٥م : ٣٦-٣٧) .

المبحث الثاني :

من الجمالي إلى الثقافي تحولات منهجية

إذن نحن أمام محاولة تأسيس خطاب نقدي يراهن على أهمية الإيديولوجيا في خلق تحولات ثقافية تتبنى فلسفة التبعية والانغلاق ، وتتكسر التعددية والانفتاح ، ومن خلال النص السابق ، الذي اضطر الباحث إلى اقتباسه كاملاً ، تتبدى وجهة نظر جريئة في انتقادها للذات والآخر ، وتحليلها لمرتكزات التفاعل الأدبي بهدف فهم المزيد من شروط العمل المقارن ، وفق ما سمّاه المناصرة بالمنظور الجدلي التفكيكي ، متخذاً من جدليتي ماركس وهيجل رافداً أساسياً لمنظوره الجدلي ، فإذا كان ماركس يرى أن الاقتصاد عامل حاسم في التشكيل الاجتماعي ، فإن هيجل يبني جدليته على رهانات تاريخية وصراعية ، وبالتالي فإن مصطلح (الجدل) عند المناصرة يكرّس هذه الأبعاد في عمله . وكذلك فإن مصطلح (التفكيك) يستحضر مرجعيات ديريدا الهايدغرية ليدلّل بها " على عملية تُمارس على البنية أو المعمار التقليدي للمفاهيم المؤسسة لأنطولوجيا أو الميتافيزيقا الغربية " (ديريدا ، ١٩٨٨م : ٥٨) .

وهو ما يهدف المناصرة إلى ممارسته لبناء قراءة ثقافية تنتقد (النسق) من خلال تكريس منجز نقدي مقارني تكاملي ينطلق من منظوره السالف الذكر (الجدلي التفكيكي) ليصوغ من خلاله فهماً نقدياً منهجياً لمشروع (النقد الثقافي المقارن) الذي يمثل الاستمرار الطبيعي (للنقد الأدبي) ، وبداية (ما بعد- النقد الثقافي في المقارن) وهذا يعني أن (منهجية المقارنة) " لن تنتهي على الإطلاق ، لأنها تحمل ثنائية متعارضة (الأنا / الآخر) بل تحمل عدة متعارضات . فلا تعارض بين النقد الأدبي ... والنقد الثقافي المقارن ، بل هما يكملان بعضهما بعضاً . لكن الإشكالية القائمة تبرز ، حين نتساءل : من أين نبدأ ؟ وكيف يصبح النقد مثالياً حين نعالج النصوص ، سواء أكانت : أدبية أم ثقافية . ثم ماهي الحدود ؟ قد نقول نظرية (النص الإلكتروني المتشعب) بأنه لا توجد حدود ، ولكن النص الثقافي والنص الأدبي معاً ، لهما هويّات ، لها حدود . فنحن لا نستطيع محاكاة النص ، خارج خصائصه ! الشائعة ، ولا نستطيع أن نسمي المعرفة العالمية في الإنترنت بأنها (بندورة) ... لأن ما هو في الإنترنت ، حتى لو تشعب حتى نهاية العالم هو مجرد شبكة من

الرموز المعرفية ذات طبيعة (ثقافية ونصية) . تحمل خطابها الخاص وعلاقتها الخاصة ، وهويتها الخاصة المختلفة عن الآخرين " (المناصرة ، ٢٠٠٥م :٣١٣) . اختلافاً يرى فيه المناصرة منفذاً نحو تحقيق طروحات (النزعة الثقافية المقارنة) وفق المنظور المشار إليه سابقاً (الجدلي التفكيكي)، وربما كان هذا المنظور المؤسس على فكر (الاختلاف) تطوير لطروحات إدوارد سعيد- باتجاه مختلف - لقد أسس سعيد لضديات ثنائية مبنية على قطيعة حادة تمثل متعاليات ثقافية يمكن وصفها بأنها مشخصة، صاغت ظروف خاصة ، فنجد (الثقافة / والإمبريالية) (الامبريالية/ والمقاومة) (الوطن . والمنفى) إلخ

ويمكن الإشارة إلى أنّ طبيعة المنهج لدى كل من المناصرة وسعيد هي التي قادت إلى مثل هذا الاختلاف ، فإدوارد سعيد يستند إلى (نظرية المؤامرة) بينما يحاول عزّ الدين المناصرة صياغة مسار منهجي مغاير ، فهو وإن اتفق مع سعيد فكرياً ، إلا أنه يؤسس لتوجه تقني خاص به ، إذ يرمي المناصرة إلى وضع مزيج من التصورات الأولية للمشكلة ، ومن ثم السير بقراءة ثقافية وفق معطيات جدلية تفكيكية أعلن عنها صراحة في بداية مشروع (النقد الثقافي المقارن) أخذاً بعين الاعتبار مستندات معرفية تقرها منهجية (النقد الثقافي) أساساً ، لتقديم رؤى جديدة لفكر (ما بعد الحداثة) (وما بعد البنوية) بوجه عام ، وسوف يتبين أنّ المناصرة لا يبتعد كثيراً عن مفهوم النقد الثقافي عند فنسنت ليتش ، وقد لخصها الغدامي بما يأتي :

أ- لا يوظف النقد الثقافي عند ليتش فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي ، بل يفتح على مجال عريض من الاهتمامات وإلى ما هو غير جمالي ، سواء كان خطاباً أو ظاهرة .

ب- يستفيد النقد الثقافي من مناهج التحليل العرفية من مثل : تأويل النصوص ، ودراسة الخلفية التاريخية ، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي .

ج- يركز النقد الثقافي جوهرياً على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوي ، كما هي لدى بارت وديريدا وفوكو ، خاصة في مقولة ديريدا أنّ (لا شيء خارج النص) وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي (المابعد بنيوي) و معها مفاتيح التشريح النصوي كما عند بارت ، وحفريات فوكو . حيث يقدم ليتش مفهومه عن الأنظمة العقلية واللاعقلية كبديل لمصطلح إيديولوجيا (الغدامي ، ٢٠٠٥م :٢٩) .

وعلى هذا الأساس فإنّ مزج المناصرة بين (المقارن / والثقافي) تحت مظلة مصطلح (النقد) هو محاولة لإعادة بناء دور النقد في الحياة الثقافية في ظل تحولات ثقافية واجتماعية كونية جديدة ، فمنذ قرابة نصف قرن . كان الناقد يرى " أنّ للنقد دوراً كبيراً شمولياً ويفترض فيه أن يكون قوّة موجّهة ذات أثر في تحديد مسار الفكر كلّه ، وأن يكون ذا فعل وظيفي إذ يصبح قادراً على أن يخدم ، على نحو خفي أو مستعلن ، قضايا مختلفة في المجتمع ، ربما لم يكن من السهل تحديدها ، وهذا كلّه -إن صحّ - يوميء إلى إيمان عميق بدور النقد الأدبي في الحياة الفكرية والاجتماعية " (عباس ، ١٩٨٠م :٢١) .

غير أنّ هذا الدور لم يعد فاعلاً في المجتمع ، ولا سيما في وقت تراجعت فيه جماهيرية النشاط الأدبي أمام الانتشار الطاعي للبت الفضائي وقنواته التي استأثرت بالجمهور ، ولم تعن في برامجها بجوانب مهمة في مجال النقد الأدبي . وبذا يلمس المتتبع انحساراً واضحاً للنشاط النقدي في دوائر أكاديمية ضيقة ، وإذا تمكن المناصرة من إعادة تأهيل دور النقد الأدبي في منظومة منهجية جديدة ضمن معادلة : (المقارن / والثقافي) فلا شك أنّ ذلك سيعزز من دور النقد في الحياة

، وتصيح له سلطته الفكرية في كشف طبيعة الخطاب (بأوجهه المختلفة) داخل الثقافة الواحدة ، وكذلك كشف طبيعة الثقافات والتأثير المتبادل بين الخطابات في إطار العلاقات الأدبية الدولية .

وهي علاقات غدت أكثر وضوحاً ونماءً في ظل مجتمع المعرفة والتقدم الهائل في قطاعات الاتصال والترجمة المباشرة والآلية ، إضافة إلى ثورة المعلوماتية وأثارها الواضحة في تقارب الثقافات منذ العقد الأخير من القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين ، وقد صار لزاماً أن ندرك النقاشات المهمة حول العلاقة بين (الثقافة والتكنولوجيا) وتتساءل مع المتسائلين " هل الثقافة تابعة للتقانة ، أم التقانة تابعة للثقافة ؟ فالثقافة كما تقول لوردس أريزب المدير العام المساعد لليونسكو لشؤون الثقافة ، بحكم طبيعتها ترفض التهميش والاختزال ، ولا يمكن أن تكون مجرد عامل مؤازر لعملية التنمية التكنولوجية، كما هي الحال عادة ، فليس دورها - وما زال الحديث للوردس أريزب- أن تكون خادماً من أجل تحقيق الغايات المادية، بل يجب أن تكون الثقافة هي الأساس الاجتماعي الذي تقوم عليه هذه الغايات نفسها" (علي، ٢٠٠١م، ٤٩-٥٠) .

ومهما يكن من أمر في نقاش العلاقة بين التقانة والثقافة ، فإنه لا يخفى على أحد أن التقانة ساهمت في تسريع عملية نقل الثقافة (التثاقف) وفتحت الباب على مصراعيه أمام تفاعل الثقافات في جميع أنحاء العالم . وهو ما كان لا بد أن يساهم في تغيير النظرة إلى طبيعة العلاقة بين الثقافات والآداب ، ولا سيما وقد بدأت الدراسات الترجمة Translation Studies ، بفضل التقدم الهائل في منهجيات الترجمة . البشرية والآلية . تأخذ مكانها منافساً حقيقياً للبحوث والدراسات المقارنة ، تماماً كما حاولت الدراسات الثقافية Cultural Studies أن تلغي الدراسات المقارنة ، " والحقيقة أن الدراسات الترجمة يجب أن توضع في إطار نهوض (الدراسات الثقافية) و (دراسات ما بعد الكولونيالية) و (الدراسات الأنثوية) وكلها حقول جديدة تناطح الأدب المقارن وتزاحمه ، وتأخذ عليه بالجملة والمفرق ارتباط نشأته بالمركزية الثقافية الأوروبية والكولونيالية والفلسفة الوضعية " (الخطيب ، ١٩٩٨م: ٢٣) .

ولعل مثل هذه الاتهامات والشبهات هي التي كانت وراء الحديث المستمر عن (أزمة الأدب المقارن) ، وسبيل الخروج منها . ولنتذكر هنا أن مصطلح (المقارن / والمقارنة) لم يكن مخلصاً في كثير من الأحيان للحقل الأدبي ، فالدراسات التربوية ، والدينية والتاريخية والعلوم البحثية والتطبيقية ادّعت (وصلاً بليلي) ، واستخدمت المقارنة في عملها ، ولنتذكر أيضاً أن (مؤسسة الأدب المقارن) نفسها ظلت عرضة لهجوم والنقد رداً طويلاً من الزمن .

إذن نحن نبحث عن أي مداولة فكرية تعمل على توجيه جديد للمعادلة ، وإعادة صياغة لها ، ويهمننا هنا ما قام به عز الدين المناصرة من مزج بين (الأدبي - والنقدي - والثقافي) مما يقتضي جعل (الدراسة المقارنة) مظلة لمناقشات مستقيضة يتداخل فيها النقد الأدبي ، بالنسوي والثقافي ونظرية الأدب ، وهو من خلال مجمل كتابه (النقد الثقافي المقارن : منظور جدلي تفكيكي) يبرهن على تضارب الآراء وتناقضها في قضية (الأدب المقارن) ويبرهن - كذلك - على أن الجدل الذي تورط فيه أعلام بارزون في هذا الاتجاه ، ويذكر منهم فيلنشر ، وجراهام بو ، وفوكميا ، وسوزان باسنيت ، وماكولولي ، وراين ، وبعض نقاد النسوية ... هو جدل بيزنطي .. ، لأن النشاط المقارن نشاط إنساني جوهري ، وإن اختلفت المسميات .

ولأن الذين هاجموا (مؤسسة المقارنة) يحرصون على فكرة المركزية Centristism وقداستها ، ولعل بعضهم يعمد إلى تهميش هذه المؤسسة قصداً لغايات غير معلنة ، وهي غايات أبسط تأويلاتها يقود إلى تداعيات تنكّرنا بالنزعة الكولونيالية نفسها " تقول سوزان باسنيت Susan Bassnett بأن ماثيو آرنولد ، قال عام ١٨٥٧ م ، ما يلي : (ليس بإمكاننا فهم

حدث واحد أو أدب واحد بطريقة ترضينا ، إلا بدراسة علاقته بأحداث أخرى ، أو آداب أخرى) . لكن كروتشه Croce هاجم الأدب المقارن ، فموضوعه بالنسبة له ، هو اللاموضوع . أما تشارلز لرجيلي Gayley فيقول إن مجال الأدب المقارن هو : " مجتمع الإنسانية وطموحاتها المشتركة ، أما فرانسوا جوست Jots فيرى أن الأدب المقارن يقدم نظرة شاملة للأدب ولعالم الكتابة ، ونظرة أدبية للعالم والكون الثقافي " (المناصرة ، ٢٠٠٥م: ١٧١) .

بمعنى أننا نعود ثانية إلى المزج بين مفهومي (الأدب المقارن) و (الأدب العالم) وكأننا نرجع إلى الوراء ، ولا نتقدم نحو الأمام ، لذا لا بدّ من حسم مثل هذه الحيرة والإرباكات التاريخية في تحديد مفهوم الأدب المقارن وطبيعة عمله ، تلك المسألة التي ناقشها رينيه ويليك في حديثه عن عدد من المفاهيم النقدية Concepts of criticism . ولا شك أن الطرح الذي ينحو بمفهوم المقارنة نحو وظيفة جديدة كفيل بحل المشكلة لنا ، أتجه المناصرة هذا الاتجاه الذي يستثمر منهج (إدوارد سعيد) وليس طروحاته ، في إقامة (نقد ثقافي مقارن) يوسع فاعلية المقارنة خارج مناخها الأدبي ، وهو منهج " يقع في منطقة النقد الثقافي المقارن ، وهي منطقة تلتقي مع تعريف الأمريكي (هنري ريماك) للأدب المقارن ، من زاوية توسيع المقارنة خارج الأعمال الأدبية ، وتلتقي في الوقت نفسه مع المنهج التاريخي الفرنسي التقليدي ، لكن سعيد يرفض المناهج الوصفية الشكلانية كما يصفها ، لأن هذه القراءات تتناقض مع جوهر مبدأ المقارنة الثقافية التوسيعية ، التي لا تهتم (فقط) بجوانية النص وتركيبه الشكلي . فالنقد الثقافي المقارن يركز على مقارنة الثقافات ونصوصها وسردياتها المتنوعة والمختلفة ، بدلاً من قراءة (الأدب المحض) " (المناصرة ، ٢٠٠٦م: ٢٨١) .

وهنا وجد المناصرة نوعاً من الدعم المنهجي للتحويلات التي أسس لها في كتابه (النقد الثقافي المقارن) وراح يسقط نقاشات نقدية صرفة على النظرية المقارنة من خلال دراسات تطبيقية لعدد من الأعمال نشرها تباعاً وهي :

- أثر ولیم فوکنر في رواية (نجمة) لكاتب ياسين .
- أثر ولیم فوکنر في رواية (ما تبقى) لكم لغسان كنفاني .
- ببجماليون ... بين برناردشو وتوفيق الحكيم .
- نيكولا فابيتساروف في البلدان العربية .
- النص ... والآخر : الموشحات الأندلسية وشعر الطروبادور .

وبالرغم من استخدام المناصرة لمصطلحات سائدة في الممارسة المقارنة كمصطلح (أثر) فإن الواقع التطبيقي يشير إلى توظيف المقولات الثقافية في مقارنة مقارن ، فعندما يبحث في المشكلة الجوهرية التي تطرحها الروايتان (نجمة) للكاتب ياسين ، و (الصخب والعنف) لوليم فوکنر ، يبرز (البحث عن النسق) كمنطلق نقدي عند المناصرة ، يقول عز الدين :

" أولاً : تطرح الروايتان قضية صراع ثنائي بين شمال مستغل ، بكسر الغين ، وبين جنوب بكر انتهكه الشماليون . ففي رواية فوکنر ، نجد الصراع بين شمال أمريكا الراقي صناعياً وبين الجنوب الأمريكي البكر ببراءته . ويحكم الاستغلال هذه العلاقة إلى درجة الاغتصاب ، وي طرح ياسين قضية صراع ثنائي هو الاغتصاب السائد بين شمال (فرنسا) وجنوب (الجزائر) ورغم أن نجمه من الناحية الواقعية نتاج عمليه (اغتصاب) إلا ان الحوار صعب ، بل شبه مستحيل (ما أعلى الأسوار يا أماه !) .

ثانياً: تتمركز فكره الروايتين حول محور العار والأخذ بالثأر ، وتتوازي نجمة مع كاندي ، وكاندي أيضاً معشوقه من قبل عشاق كثيرين: فشقيقتها كونتن الذي يدرس في هارفرد مصاب بعقدة الشعور بالآثم ، تجاه كاندي - الجنوب المغتصب -

حتى إنه يتمنى لو يتزوجها ، لكنه ينتحر لأنه يتعامل مع الزمن التقليدي المتوحش ، برقه رومانتيكية ، وبنجي شقيقها - المعتوه - يعشقها أيضا بعشق رائحه المطر ، لأنها تشبه رائحه كاندي ، أما كاندي نفسها فهي تتزوج ليكشف زوجها أنها حامل من رجل آخر " (المناصرة ، ٢٠٠٥م:٤٧٣) .

ومن خلال برهنته على العلاقة الموضوعية / المضمونية نجده ينطلق إلى تحليل نقدي يتابع من خلاله توطيد أسس هذه العلاقة ، دون اهتمام بمحمولات مصطلح (تأثر / تأثير) وسياقتها التاريخية التي كان الباحث المقارن يجهد نفسه في البحث عنها . لكن المناصرة اتجه اتجاها نقديا فنيا ، ليكتشف أن معطيات كثيرة يمكن توظيفها في طريق المقارنة : كاللغة الروائية ، والتقنيات الأسلوبية وطرق توظيف الزمن وغيره ... ليصل إلى : إما نتيجة مفادها أنّ (رواية نجمة) لكاتب ياسين تقاطعت مع رواية فوكنر (الصخب والعنف) في مسائل عامة ، مثل : اللغة الشعرية الملحمية - صراع ثنائي بين شمال وجنوب - تشابه في رسم الشخصوص ومصانئها ، أسلوب التداوي والتحليل النفسي ، لكن كاتب ياسين تأثر بفوكنر في أسلوب ترتيب الأزمنة ترتيبا غير منطقي ، وفي حركة الرواية . وإيقاعها المتأثر.. لكننا نرى أن ياسين تفوق على ملحمة فوكنر في فصل اختطاف النجمة إلى جبل الناظور ، وتوازي معه في لغته الشعرية بل كان أحيانا يتفوق عليه في نكهة اللغة .أذن لقد استفاد ياسين من موروث تقني أوروبي عام ، واستفاد قليلا من فوكنر في التركيب دون أن نفقد إحساسنا بأن رواية (نجمة) رواية جزائرية عربية تماما ، حتى لو كتبت بالفرنسية أو بأية لغة أخرى (المناصرة ، ٢٠٠٥م:٤٧٦) .

ومع أننا نشيد بقدره الناقد على التحول بمفهوم المقارنة من سياقاته التاريخية إلى أفق نقدي يبني على رهانات فنيه صرفه ، إلا أن ثمة قضيتين مهمتين في هذا السياق هما : أنّ المناصرة يحاول أن يكون مخلصا لمنطلقاته النظرية التي تتأسس على نمط من التحول المنهجي في فلسفه الدراسات المقاربية التطبيقية السابقة بتحديد آليات نقدية / فنية / نصية لممارسة المقارنة بين روايتي كاتب ياسين (نجمة) ووليم فوكنر (الصخب والعنف) لذا فإن تناول المناصرة للحدث لم يركز كثيرا على (ماهية) بقدر ما ركز على (كيفية تقديمه) أي أسلوب عرضه ، وهو بهذا يفلت من إفسار الخوض في مسألة الفكرة وأصلها وتحولاتها ... ليستثني بالتالي أي أثر لمسألة (تاريخ الأفكار) التي تعد مصطلحا أساسيا في نظريات المقارنة التقليدية ، وفي واقع الأمر فإن توجه المناصرة لمغادرة هذه المنطقة ، والدخول إلى تخوم أخرى هو تكتيك مهم في سياق الخلاص من سيطرة النزعة التاريخية ، ولاسيما تلك التي تأثلت عند المدرسة الفرنسي " فلا غرابة إن كنا نصادف إجماعا من الدارسين الفرنسيين على تحديد عدة الباحث المقارن في التالي :

أ- مؤرخ للآداب ، إذ عليه أن يتجهز بثقافة تاريخية كافية ،تمكّنه من وضع الأحداث الأدبية في إطارها التاريخي

ب- الباحث المقارن ، هو كذلك مؤرخ للعلاقات الأدبية بين الآداب (في عدة بلدان) " (علوش ، ١٩٨٧ : ٦٥) .

وهو ما لم يرغب المناصرة في ممارسته ، الأمر الذي يعزز من خلاله الممارسة النقدية التحليلية في إطارها المقارني ، وهو بدأ يحقق تقدما ملموسا في هذا المجال ، لكنه وهذه هي القضية الثانية ، لم يستطع التخلص من تراكمات المفاهيم وذاكرة المصطلحات المتداولة في المجال ، ومع أنه يحاول اقتحام هذه الذاكرة إلا أنه لا يدعى بحال من الأحوال امتلاكه جهازا مصطلحيا بديلا ، وهو يدرك أصلا عدم جدوى هذا المذهب ، فالمصطلحات لا تخضع لمنطق الطفرة ، بل إن منطقها هو منطق السيرة والاستعمال ، فمن شروط المصطلح كما يرى محمد رشاد الحمزاوي " الاطراد ، ويسر التداول " (الحمزاوي ، ١٩٨٥م: ٤٥) .

وهما شرطان مهمان لا يضمنهما أي ناقد ، بل إن الزمن وحده هو الكفيل بهما ، ومن أجل المزيد من الإيضاحات حول فهمنا لمذهب عز الدين المناصرة في تحويل منهجية المقارنة ، وتوسيع آفاقها ننقل إلى عمل تطبيقي آخر من

أعمال هو : أثر وليك فوكنر في رواية (ما تبقى لكم) لغسان كنفاني (٢٤) ومع أنه يكرر استخدام مصطلح (أثر) في عنوان الدراسة ، وهي رواسب المشكلة المصطلحية التي أشرت إليها أنفا ، إلا أنّ الدراسة بكاملها تقوم على منهجية (النقد المقارن) الذي يدعو إليه المناصرة لفتح أفق الدراسات المقارنة وتوسيع أبحاثها ، بناء على فهمه الفني لهذا المصطلح وإدراكه بأنه مصطلح متخصص بميدان " التطبيقات النصية الأدبية " (المناصرة ، ١٩٩٦م : ٨٠) (٢٥)

وهو ما يمارسه المناصرة بحذق ومهارة موظفا معرفته النقدية المستمرة من مزيج منهجي يتفهم أصول الإبداع الفني وأشكاله المختلفة ، وهو بدأ يقمّ حلا إجرائيا للخط المفهومي الذي تكثر الإشارات إليه ، عند الحديث عن (الأدب) أو (النقد) المقارن ، " وعلى الجملة فإن مصطلح الأدب المقارن يعتبر مصطلحا خلافيا وهو يجمع الآراء ضعيف الدلالة على المقصود منه .. كذا فإن مصطلح (النقد المقارن) موضع خلاف بين المقارنين العرب... " (المومني ، ١٩٩٨م : ٨٠) (٢٦) بسبب عدم وجود منجز تطبيقي يمكن وضعه بموازاة ما أنجز في حقل (الأدب المقارن) من أجل وجود صورتين متغايرتين يمكن من خلالهما فهم طبيعة كل مصطلح وآليات اشتغاله .

وربما كانت دراسة المناصرة لأثر رواية (الصخب والعنف) لوليم فوكنر في رواية غسان كنفاني (ما تبقى لكم) مثل واضح على محاولة المناصرة إيجاد جهاز مصطلحي جديد ، أو تغيير مضامين معينة لمصطلحات قديمة ، من ذلك ما نجده من خلال تتبعه لأدله التأثير بين فوكنر وكنفاني ، يقول : " سأكتفي بإشارة ناشر الطبعة الثالثة لروايه (ما تبقى لكم) عام ١٩٨٢ ، ويبدو أن كاتبها ناقد متقف ، يقول الناشر : (ماتبقى لكم ، هي إحدى المحاولات التجريبية العربية ، كنفاني يتأثر بفوكنر ، ولكنه لا يكتفي بالتأثر السلبي ، بل يميل هذا التأثير إلى نبض لغوي أصيل ، ويجعل من العلاقات المتشابهة ، صورة للواقع العربي الذي يحاول أن يتمرد على ذاته " . هذه هي الإشارة نقلناها بكاملها ، ونلاحظ منها أن الناشر ينطلق من مقولة أو إحساس نقدي خاطيء ، وهو أن التأثير صفة سلبية ، كما هو شائع " (المناصرة ، ٢٠٠٥م : ٤٧٨) .

فالمناصرة هنا يعترض على محمولات مصطلح (التأثير) الدلالية ، وهي بالفعل محمولات سلبية ، حتى إن معاجم المصطلح النقدي تشير إلى ذلك ، فالتأثر والتأثير يقعان في دائرة الفاظ " تقبل سلطة .. خضوع لنزعة... وقوع تحت تأثير متافقة.. " (علوش ، ١٩٨٥م : ٣٠) (٢٨) وغيرها من المعاني المتعلقة بهذا السلب . الأمر الذي يجد الناقد نفسه معه في موقف يستدعي إيجاد مصطلح آخر يعبر عن طروحاته الفني تعبيراً مناسباً ، أو محاولة تغيير ملامح المصطلح المؤسس نفسه ، والاعتراض على الفهم السائد له ، ولا ننسى أنّ المناصرة يفهم جهازه المصطلحي جيداً ، ويجعل المسألة الاصطلاحية أولوية ، لذا جاءت مقدمة كتاب (النقد الثقافي المقارن: منظور جدلي تفكيكي) بمثابة بيان مصطلحي ، كما أشرت في صفحات سابقه من هذه الدراسة ، واستمر المناصرة في تدقيقاته المصطلحية في دراسات لاحقه أيضا .

ففي دراسته التي نال بها (جائزة الباحث المتميز في العلوم الاجتماعية في الأردن / تشرين الثاني ٢٠٠٨ ، بعنوان (علم التناص المقارن : نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) دار مجدلاوي ٢٠٠٦ ، وينتقد إدوارد سعيد بسبب إشكال مصطلحي قام بموجبه سعيد بتحميل مصطلح (النقد المقارن) محمولات تاريخيه ، أدى به إلى الخلط بين مصطلحي (أدب مقارن) (نقد مقارن) ، فيقول المناصرة " أما النقد المقارن عند إدوارد سعيد فهو يسير نحو الرجوع إلى الوراء ، أي العودة إلى المنهج التاريخي ، هروبا من مقولات ، مثل : (لا شيء خارج النص) أو (النص المكتفي بذاته) هذه المقولات التي يصفها بالشلالية في ظل صعود الدراسات اللسانية والسيميائية والتفكيكية وغيرها " (المناصرة ، ٢٠٠٦م : ٢٦٩) .

في موقع آخر من الدراسة نفسها ، التي وسمها ب (إدوارد سعيد الناقد الثقافي المقارن : قراءة طباقية) يشدد المناصرة على أهمية الوعي بالمصطلح ومحاولاته باتجاهين : من المصطلح إلى المفهوم ، أو من المفهوم إلى المصطلح ، أي الكشف عن طريقة الممارسة النقدية غير المسماة إصطلاحيا ، والبحث عن ما يطابقها من المصطلحات . فبحث إدوارد

سعيد عن المتشابهات النصية من أجل الكشف عن النزعات الإمبريالية في الرواية والشعر ، وتحديد طبيعة المقاومة في مواجهتها يسير في اتجاه " أصبح يعبر عنه بـ (النقد الثقافي المقارن) رغم أن سعيد لم يستخدم هذا المصطلح ، لكنه مارسه بتفوق وبصبر وذكاء ، وهذا الاتجاه بدأ يبتعد عن مفاهيم (الأدب المقارن) السائدة ، كما في المناهج : الفرنسية والسلافية والألمانية والأمريكية ، بالاتجاه الثقافي ، مع عدم إهمال الأدبي . فقد نشأ الأدب المقارن في القرن التاسع عشر موازياً للإمبريالية الفرنسية والأمريكية على وجه التحديد ، مما جعله سبباً للدراسة عند سعيد . لهذا يكاد (النقد الثقافي المقارن) يصبح فرعاً مستقلاً من النقد ، أو على الأرجح هو حقل ثقافي مستقل ، يستعين بالفلسفة والأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم الأديان والإبيستيمولوجيا (نظرية المعرفة) ، ومعظم العلوم الإنسانية الأخرى . لقد ظل الأدب المقارن طيلة قرنين حائراً بين التوسع باتجاه العلوم الإنسانية، والتضييق، باتجاه النص الأدبي المكتوب والمحكي، إلى أن وصل في حالة التضييق والتوسع إلى طرفين متناقضين: (علم التناسخ) و (النقد الثقافي المقارن)" (المناصرة، ٢٠٠٦م: ٢٨٣-٢٨٤).

هذا مثال على طبيعة تفكير المناصرة بالجانب المصطلحي ، فقد رأينا في الفقرة السابقة انه كان يحرص ليس فقط على التفريق بين المصطلحات ، إنما على تحديدها وتحديد علاقاتها أيضاً ، (فالنقد الثقافي المقارن) له تعريف خاص ، جاعلاً إياه (فرعاً مستقلاً من النقد ...) وهي محاولة صياغة مصطلحية يمارسها المناصرة ، بل ويدعمها بالشرح والتفصيل ، و هو ما لاحظناه باستمرار ، ففي الوقت الذي ستعرض فيه تعريفات عدد من مصطلحات الدراسة المقارنة ، يصل إلى نتيجة يقول فيها :

" هنا يمكن اكتشاف الثغرات في هذه المصطلحات ، باستثناء (النقد الأدبي) الذي يعرف حدوده المرسومة ، عبر تقاليد موروثية وحديثة ، لهذا أقدم الاقتراح التالي ليصبح النقد الثقافي هو المصطلح الذي يشمل : النقد الأدبي المقارن ، ويشمل المثاقفة ، وذلك بقراءة النصوص الثقافية ، وفق آليات : التناسخ ، والتعدد ، والحوار ، والاختلاف ، والتفاعل ، والعنكبوتية ، والتشعب ، والاستفاد من مناهج العلوم الإنسانية ، والفنية ، على أن يتم تحديد دائرة النص ومحيط النص الممكن ، وتحديد الإشعاعات التي ينتجها النص ، دون التوسع في تداعيات خارجية ، أي بالضبط الحد الثقافي للنص، سواء أكان أدبياً أم ثقافياً ، حتى لا يفقد هويته " (المناصرة، ٢٠٠٥م: ٤٧٩) .

ولا شك أن مثل هذا التحديد المصطلحي البالغ الدقة يحيل إلى تمثّل عميق لحقيقه التأسيس المصطلحي ، وكذلك تمثّل واقعية التداول الممكنة للمصطلح نفسه . وهو الأمر الذي تطلب كل هذا الشرح والتوضيح السابق لمصطلح (النقد الثقافي المقارن) الذي لا تزال ملامحه تتشكل في الذهن النقدي العربية ، حتى هذه الأيام .

الخاتمة :

أظهر البحث مواكبة الناقد عز الدين المناصرة مواكبته للتطور في مجال قضايا النقد الأدبي وخاصة النقد المقارن ، فقد اشتق الناقد طريقاً خاصة في تطوير هذا النقد ورفده بالدراسات الأكاديمية المهمة ، وقد أدت دراساته النقدية الى انه كان في كل دراسة يقدم جملة من المفاهيم النقدية الجديدة عبر مؤلفاته المختلفة التي اغنت المكتبة العربية ، ومن الجدير بالذكر ان دراسات النقاد في هذا المجال شجعت قيام الكثير من الابحاث الاكاديمية التي تريد إدراك القيمة الأساسية في النص بوصفه خطاباً يتوجّه إلى متلقٍ مخصوص، ينطوي على هدف جمالي وثقافي وحضاري ، قد كان خطاب النقاد على قدرته على التأثير في الساحة النقدية بسبب ربطه بين الحداثة والفاعلية وتكتسب اراءه اهمية كونه شاعر كبير من شعراء الوطن العربي اي انه عرف الشعر وميادينه فكانت لأرائه قيمة فنية .

المصادر والمراجع :

- اصطيف ، عبد النبي (٢٠٠٧م)، المدرسة السلافية والأدب المقارن ، مجلة الوقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع ٤٣٣ ،
- تيغم ، فان (١٩٤٩م) . الأدب المقارن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، ص ٢٠٥
- جوزيف، جون (٢٠٠٧م). اللغة والهوية ، ترجمة : عبد النورخراقي ، سلسلة عالم المعرفة ، ع ٣٤٢ ، ص ٢٩ .
- الحمزاوي ، محمد رشاد(١٩٨٥م) . المنهجية العربية لوضع المصطلحات من التوحيد إلى التمييز ، مجله اللسان العربي ، الرباط، ع ٢٤ ، ص ٤٥
- الخطيب ، حسام (١٩٩٨م) . الأدب المقارن على مشارق القرن الواحد والعشرين : الاتجاهات الرئيسية والمؤشرات المستقبلية ١٩٨٥ - ١٩٩٥ (ضمن : أعمال مؤتمر : قضايا الأدب المقارن في الوطن العربي ، تحرير: أحمد عثمان ، الجمعية المصرية للأدب المقارن ، القاهرة ، ص ٣١ - ٣٢ .
- الخطيب ، حسام (١٩٩٨م) ، الدراسات الترجيحية هل يمكن أن تكون بديلة للأدب المقارن ؟ مجلة علامات النادي الأدبي ، جدة ، ج ٢٧ ، م ٧ ، ص ٢٣ .
- خليل احمد (٢٠٠١م) ، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ج ٣/١٨١٥
- ديريدا ، جاك (١٩٨٨م). الكتابة والاختلاف ، ترجمة : كاظم جهاد ، دارتوبقال ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ص ٥٨ .
- الرويلي، ميجان وسعد البازعي (٢٠٠٠م). دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ص ٢٦ .
- عباس ، إحسان(١٩٨٠م) ، توجيه النقد الأدبي للفكر العربي وخدمته لقضايا المجتمع ، ضمن : من الذي سرق النار : خطرات في النقد والأدب جمعتها وقدمت لها د. وداد القاضي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ص ٢١ .
- علوش ، سعيد (١٩٨٧م) ، مدارس الأدب المقارن: دراسته منهجية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ص ٧٦ .
- علوش، سعيد (١٩٨٥م). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ص ٣٠
- علي ، نبيل (٢٠٠١م)، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي ، سلسلة عالم المعرفة ع ٢٦٥ ، ص ٤٩-٥٠ .
- الغدامي ، عبدالله (٢٠٠٠م). النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط ١ ، ص ٢٩ .
- كولن ، أرمان(١٩٩٢م) . الأدب المقارنة إلى أين ؟ ترجمة : نذير العظمة ، مجلة علامات ، النادي الأدبي بجدة ، ج ٤ ، م ١ ، ص ١٨٥ .
- المناصرة ، عز الدين (٢٠٠٥م) ، النقد الثقافي المقارن : منظور جدلي تفكيكي ، دار مجدلاوي ، عمان ، ط ١ ، ص ١٥ .
- المناصرة ، عز الدين (١٩٩٦م). المثاقفة والنقد المقارن : منظور إشكالي ، بيروت ، ط ١ ، ص ٨٠
- المناصرة ، عز الدين ، النقد الثقافي المقارن : منظور جدلي تفكيكي ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥م ، الاردن - عمان ص ٤٧٨
- المناصرة ، عز الدين(٢٠٠٦م): علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الاردن - عمان ، ص ٢٨١ .
- المناصرة، عز الدين(٢٠٠٥م) : النقد الثقافي المقارن ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، الاردن - عمان ، ص ١٧١ .
- المومنى ، قاسم(١٩٩٨م) ، ما هو المصطلح : المصطلح النقدي في (النقد المقارن) خاصة ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، ع ٨٠ ، ص ٨٠
- هلال ، محمد غنيمي (١٩٨١م) .الأدب المقارن ، دار العودة ، بيروت ، ط٥ ، ص ١١ .

Sources and references:

Istif, Abdul Nabi (2007 AD), *The Slavic School and Comparative Literature*, Al Waqf Literary Magazine, Arab Writers Union, Damascus, p. 433,

Tigham, Van (1949). *Comparative Literature*, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1st edition, p. 205

Joseph, John (2007). *Language and Identity*, Translated by: Abdel Nour Kharaghi, World of Knowledge Series, p. 342, p. 29.

Al-Hamzawi, Muhammad Rashad (1985 AD). *The Arabic methodology for establishing terminology from monotheism to standardization*, Al-Lissan Al-Arabi Magazine, Rabat, p. 24, p. 45.

Al-Khatib, Hossam (1998). *Comparative Literature on the Rise of the Twenty-First Century: Main Trends and Future Indicators 1985-1995 (Included: Proceedings of the Conference: Issues of Comparative Literature in the Arab World*, Edited by: Ahmed Othman, Egyptian Society for Comparative Literature, Cairo, pp. 31-32.

Al-Khatib, Hossam (1998), *Translation studies, can they be an alternative to comparative literature?* Alamat Literary Club Magazine, Jeddah, vol. 27, issue 7, p. 23.

Derrida, Jacques (1988). *Writing and Difference*, Translated by: Kazem Jihad, Dartoubkal, Casablanca, 1st edition, p. 58.

Al-Ruwaili, Megan and Saad Al-Bazai (2000 AD). *The Literary Critic's Guide*, Arab Cultural Center, Beirut, 2nd edition, p. 26.

Abbas, Ihsan (1980), *directing literary criticism to Arab thought and its service to societal issues, within: Who Stole the Fire: Dangerous Things in Criticism and Literature*, collected and presented by Dr. Widad Al-Qadi, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, p. 21.

Izz al-Din al-Manasra, *Comparative Intertextuality: Towards an Interactive Spider-Man Approach*, Majdalawi Publishing House, 2006, pp. 283-284.

Alloush, Saeed (1987), *Schools of Comparative Literature: A Systematic Study*, Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition, p. 65.

Alloush, Saeed (1985 AD). *Dictionary of Contemporary Literary Terms*, Lebanese Book House, Beirut, 1st edition, p. 30

Ali, Nabil (2001), *Arab culture and the information age, a vision for the future of Arab cultural discourse*, World of Knowledge series, no. 265, pp. 49-50.

Al-Ghadhami, Abdullah (2000 AD). *Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Patterns*, Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition, p. 29.

Gulen, Arman (1992). *Where is comparative literature headed?* Translated by: Nazir Al-Azma, Alamat Magazine, Jeddah Literary Club, vol. 4, vol. 1, p. 185.

Al-Manasrah, Izz al-Din (2005), *Comparative Cultural Criticism: A Deconstructive Dialectical Perspective*, Majdalawi Publishing House, Amman, 1st edition, p. 15.

Al-Manasra, Ezz El-Din (1996). *Acculturation and Comparative Criticism: A Problematic Perspective*, Beirut, 1st edition, p. 80

Al-Manasrah, Ezz Al-Din, *Comparative Cultural Criticism: A Deconstructive Dialectical Perspective*, Majdalawi Publishing and Distribution House, 2005, Jordan - Amman, p. 478.

Al-Manasra, Ezz El-Din (2005 AD). *Comparative cultural criticism: a deconstructive dialectical perspective*, on pages 477-505

Al-Manasra, Ezz Al-Din (2005), *Comparative Cultural Criticism*, Majdalawi Publishing and Distribution House, Jordan - Amman, p. 473.

Al-Manasra, Ezz Al-Din (2006 AD): *Comparative Intertextuality (Towards an Interactive Spider-Man Approach)*, Dar Majdalawi for Publishing and Distribution, Jordan - Amman, p. 281.

Al-Manasra, Ezz Al-Din (2005), *Comparative Cultural Criticism: A Deconstructive Dialectical Perspective*, Majdalawi Publishing House, Amman, 1st edition, p. 32.

Al-Manasrah, Izz al-Din (2005), *Comparative Cultural Criticism: A Deconstructive Dialectical Perspective*, Majdalawi Publishing House, Amman, 1st edition, pp. 36-37.

Al-Manasra, Ezz Al-Din (2005), *Comparative Cultural Criticism, a Deconstructive Dialectical Perspective*, Majdalawi Publishing House, Amman, pp. 10-11.

Al-Manasrah, Ezz Al-Din (2006), *Comparative Intertextuality: Towards an Interactive Spider-Man Approach*, Majdalawi Publishing House, Amman - Jordan, p. 269.

Al-Manasra, Ezz Al-Din (2005 AD): *Comparative Cultural Criticism*, Majdalawi Publishing and Distribution House, Jordan - Amman, p. 171.

Al-Moumani, Qasim (1998 AD), What is the term: the critical term in (comparative criticism) in particular, *Journal of Contemporary Arab Thought*, Beirut, No. 80, p. 80

Hilal, Muhammad Ghoneimi (1981 AD). *Comparative Literature*, Dar Al-Awda, Beirut, 5th edition, p. 11.